

﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُمْ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٢٧)

[الأنعام: 127]

✽ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

ثمرة الإسلام
تخصيل
السلامة والنَّجاة
من النَّار

لَمَّا كَانَ التَّذَكُّرُ بِمَا فَصَّلَ مِنَ الْآيَاتِ لَا يَكُونُ إِلَّا لِمَنْ أَفَاضَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْعِنَايَاتِ، وَرَغْبَهُ فِي طُرُقِ الْهِدَايَاتِ، ذَكَرَ مُرَغَّبًا فِي التَّذَكُّرِ أَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ الَّتِي أَضَافَهَا إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ زِيَادَةً فِي التَّرْغِيبِ⁽¹⁾؛ فَطَرِيقُ الْحَقِّ قَدْ بَانَ لِكُلِّ ذِي بَصِيرَةٍ، وَمِنْهُجُ الْإِسْتِقَامَةِ الَّذِي يُرْضِي اللَّهَ قَدْ تَجَلَّى لِكُلِّ ذِي بَصَرٍ؛ فَمَنْ قَبْلَهُ فَلَهُ دَارُ السَّلَامَةِ، وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَلَهُ عَذَابُ النَّارِ، فَالْمُنَاسَبَةُ بَيْنَ الْآيَتَيْنِ أَنَّ السَّابِقَةَ تَحَدَّثَتْ عَنْ صَرَاطِ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا وَهُوَ الْإِسْلَامُ، وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ تَنَاوَلَتْ ثَمَرَةَ صَرَاطِ اللَّهِ وَهِيَ الْجَنَّةُ الَّتِي عُبِّرَ عَنْهَا بِدَارِ السَّلَامَةِ.

✽ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿دَارٌ﴾ الدَّارُ: اسْمٌ مَجْرَدٌ؛ الْجَذْرُ اللَّغَوِيُّ مِنْهُ (دَوَّرَ)، وَهُوَ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى إِحْدَاقِ الشَّيْءِ بِالشَّيْءِ مِنْ حَوَالِيهِ، وَمِنْهُ الدَّارُ؛ وَهُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي يَحِلُّ بِهِ النَّاسُ، وَهُوَ اسْمٌ جَامِعٌ لِمَا اشْتَمَلَ عَلَى الْبِنَاءِ وَلِمَا خَلَا مِنْهُ، وَسُمِّيَتْ كَذَلِكَ لِدَوْرَانِهَا عَلَى أَهْلِهَا وَإِحَاطَتِهَا بِهِمْ، وَتُسَمَّى الدُّنْيَا دَارًا وَالْآخِرَةُ دَارًا بِاعْتِبَارِ النَّشْأَةِ وَالْمُسْتَقَرِّ، وَأَكْثَرُ مَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ مُضَافًا فَهُوَ بِمَعْنَى الدَّارِ الْآخِرَةِ⁽²⁾، وَالدَّارُ أَعْظَمُ مِنَ الْبَيْتِ؛ إِذِ الْبَيْتُ مَكَانُ الْبَيْتَوْتَةِ.

(2) ﴿السَّلَامِ﴾: اسْمٌ مَجْرَدٌ، الْجَذْرُ اللَّغَوِيُّ مِنْهُ (سَلِمَ)، وَمِنْهُ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 7/265.

(2) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة: (دور)، والزَّاعِب، للفردات: (دار)، والسمين، عمدة الحقاظ: (دور) وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (دور - دير).

السَّلَامُ نَقِيضُ الْحَرْبِ، وَاشْتَقَّتْ مِنْهُ السَّلَامَةُ، وَأَكْثَرُ مَا يَرُدُّ مِنَ السَّيْنِ وَاللَّامِ وَالْمِيمِ فَهُوَ عَلَى مَعْنَى الصَّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ؛ وَالسَّلَامُ مِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى؛ لِسَلَامَتِهِ مِمَّا يَلْحَقُ الْمَخْلُوقِينَ مِنَ الْآفَاتِ وَالْعَاهَاتِ وَالْعُيُوبِ؛ فَالسَّلَامَةُ "التَّعَرِّي مِنَ الْآفَاتِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ"⁽¹⁾.

و﴿دَارُ السَّلَامِ﴾ اسْمٌ مُرَكَّبٌ تَرْكِيبًا إِضَافِيًّا، وَفَحْوَاهَا مُسْتَقَرُّ الْإِنْسَانِ، وَأُضِيفَ الدَّارُ إِلَى السَّلَامِ، أَي: دَارِ السَّلَامَةِ؛ فَمَنْ يَصِرْ إِلَيْهَا يَسْلَمُ مِنْ آفَاتِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ⁽²⁾.

❁ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِي:

يُخْبِرُ الْحَقُّ ﷻ أَنَّ الْجَنَّةَ هِيَ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ سَلَكَوا صِرَاطَ رَبِّهِمُ الْمُسْتَقِيمِ، وَاقْتَفَوْا أَثَارَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَسَلِمُوا مِنَ الانْحِرَافِ؛ فَكَانَ جَزَاؤُهُمْ دَارَ السَّلَامِ بِمَا أَسْلَفُوا مِنْ أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَاتِ؛ فَيَتَوَلَّى اللَّهُ السَّلَامَ رِعَايَتَهُمْ وَعِنَايَتَهُمْ، وَيُوفِّقُهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَيَتَوَلَّاهُمْ فِي الْآخِرَةِ بِأَنْ يُبَيِّلَهُمُ الثَّوَابَ وَيُدْخِلَهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ⁽³⁾؛ جَزَاءً عَلَى صَالِحِ أَعْمَالِهِمْ.

السَّالِكُ صِرَاطَ
الهِلَّةِ الْمُسْتَقِيمِ
جَزَاؤُهُ الْجَنَّةُ،
وَاللَّهُ مَوْلَاهُ فِي
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

❁ الْإِبْضَاحُ اللَّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

تَوْجِيهُ الْإِعْرَابِ بَيْنَ الْاسْتِثْنَاءِ وَالْحَالِيَّةِ، وَالْوَضْعِيَّةِ:

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ﴾ الضَّمِيرُ فِي ﴿لَهُمْ﴾ رَاجِعٌ إِلَى الْمُوصُوفِينَ بِأَنَّهُمْ ﴿يَذْكُرُونَ﴾، وَالْجُمْلَةُ اسْتِثْنَاءٌ بَيَانِي نَاشِئٌ عَنْ سُؤَالٍ مُتَّصِرٍ عَمَّنْ فَصَّلَتْ لَهُمُ الْآيَاتُ فَتَذَكَّرُوا بِهَا؛ فَمَا أَثَرُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ؟ وَالْجَوَابُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعَدَّ لَهُمْ دَارَ السَّلَامِ جَزَاءً لَهُمْ⁽⁴⁾، وَيجوزُ أَنْ تَكُونَ الْجُمْلَةُ صِفَةً لِلْقَوْمِ الْمَارِّ ذِكْرُهُمْ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ:

دَارُ السَّلَامِ جَزَاءُ
الْمُؤْمِنِينَ وَضَمًّا
وَحَالًا وَاسْتِقْرَارًا

(1) ابن دريد، جمهرة اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: (سلم).

(2) اللجاشعي، التكت في القرآن الكريم، ص: 250.

(3) اللراغي، تفسير اللراغي: 8/26.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 63/18، وابن عادل، الباب: 8/426.

وَهُمُ الْمَدْحُوحُونَ بِالتَّذْكَرِ⁽¹⁾، وَتَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ حَالًا مِّنَ الضَّمِيرِ فِي «يَذْكُرُونَ»⁽²⁾، أَي: حَالَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّ لَهُمْ دَارَ السَّلَامِ.

بَلَدُغَةُ تَقْدِيمِ شَبِّهِ الْجُمْلَةِ (لَهُمْ):

الجارُّ والمجرورُ في قولِهِ تعالى: «لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ» خَبَرٌ مُّتَقَدِّمٌ جَوَازًا وَحَقُّهُ التَّأْخِيرُ؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى: دَارُ السَّلَامِ لَهُمْ، لَكِنَّهُ قَدَّمَهُ هُنَا لِإِفَادَةِ مَعْنَى الْاِخْتِصَاصِ، فَإِنَّ هَذِهِ الدَّارَ لِلْقَوْمِ الْمُوصُوفِينَ بِأَنَّهُمْ يَذْكُرُونَ فَهِيَ لَهُمْ وَحْدَهُمْ لَا لِغَيْرِهِمْ⁽³⁾، مِنْ بَابِ الْحَثِّ لَهُمْ وَالتَّهْيِيجِ عَلَى اتِّزَامِ الصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.

إِضَافَةُ الدَّارِ إِلَى اسْمِ اللَّهِ السَّلَامِ:

لَفْظُ السَّلَامِ فِي قَوْلِهِ تعالى: «لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ» مِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى لِقَوْلِهِ: «هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ» [الخضر: 23] فَالسَّلَامُ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى، وَقَدْ أُضِيفَتِ الدَّارُ هُنَا إِلَى اسْمِهِ تَعَالَى تَشْرِيفًا وَتَعْظِيمًا، كَمَا يُقَالُ لِلْكَعْبَةِ: بَيْتُ اللَّهِ، وَلِلرَّسُولِ ﷺ: إِنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ⁽⁴⁾.

عِلَّةُ إِثَارِ اسْمِ السَّلَامِ عَلَى غَيْرِهِ:

يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ «السَّلَامُ» اسْمَ الْجَنَّةِ، كَقَوْلِهِ تعالى: «وَاللَّهُ يَدْعُوْا إِلَى دَارِ السَّلَامِ» [يونس: 25]، وَآثَرَ اسْتِعْمَالِ اسْمِ السَّلَامِ عَلَى الْجَنَّةِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: «دَارُ السَّلَامِ»؛ لِأَنَّهَا دَارُ السَّلَامَةِ يَسْلَمُ فِيهَا الْمَرْءُ مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَبَلِيَّةٍ وَآفَةٍ وَمَكْرُوهِ؛ مُشْتَقَّةٌ مِنْ اسْمِهِ السَّلَامِ الَّذِي سَلَّمَهَا وَسَلَّمْ أَهْلَهَا مِمَّا يَخَافُونَهُ⁽⁵⁾، وَلَمَّا كَانَتْ كَذَلِكَ فَإِنَّ مَا فِيهَا مِنَ الْمُتَعِ وَالْإِمْكَانَاتِ مَا يَكُونُ عَلَى قَدْرِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ وَهُوَ الْحَقُّ ﷻ، وَقَدْ آثَرَ

خَصَّ اللَّهُ الْجَنَّةَ
بِأَهْلِهَا كِرَامَةً
وَجَزَاءً

شَرُفَتِ الدَّارُ
وَعَظُمَتْ
بِإِضَافَتِهَا إِلَى
(السَّلَامِ)

مَزِيَّةُ السَّلَامَةِ
لَا تَكُونُ إِلَّا فِي
الْجَنَّةِ

(1) العكبري، التبيان: 1/538، وللمنتجب الهمذاني، الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد: 2/690.

(2) الشيخ زاده، حاشية الشيخ زاده: 4/140.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 63/18، والشعراوي، تفسير الشعراوي: 7/3937.

(4) الخازن، لباب التأويل: 2/156، والزمخشري، الكشاف: 2/64.

(5) ابن القيم، تفسير القرآن الكريم، ص: 513، وابن عادل، اللباب: 8/427.

لَفْظَ السَّلَامِ عَلَى أَيِّ لَفْظٍ آخَرَ تَقْرِيرًا لَهُمْ أَنَّ الْخُلُودَ فِيهَا مُقْتَرَنٌ
بِالسَّلَامِ وَالْأَمْنِ وَالطَّمَأْنِينَةِ⁽¹⁾.

وَلَا سَتَعْمَالِ اسْمِ السَّلَامِ عَلَى الْجَنَّةِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ عِلَّةٌ أُخْرَى؛
فَسَلَامَتُهَا دَائِمَةٌ، وَجَمِيعُ أَحْوَالِهَا مُقْتَرَنَةٌ بِالسَّلَامَةِ مِنْ لَدُنْ دُخُولِهَا:
﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِينَ﴾^(١٦) [الحجر: 46]، وَتَحِيَّةُ الْمَلَائِكَةِ فِيهَا ﴿وَالْمَلَائِكَةُ
يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ۖ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الرعد: 23 - 24]، وَتَحِيَّتُهُمْ
بَيْنَهُمْ فِي الْجَنَّةِ: ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ [يونس: 10]، وَأَنْتَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ
فِيهَا إِلَّا سَلَامًا ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا﴾ [مریم: 62]؛ فَمَعَانِي
السَّلَامَةِ وَأَنْوَاعُهَا تَدُورُ حَوْلَهَا وَحَاصِلَةٌ بِأَسْرِهَا فِيهَا⁽²⁾.

وَصَفَ الْحَقُّ ﷻ الْجَنَّةَ بَدَارِ السَّلَامِ؛ لِسَلَامَةِ الْمُجَازِينَ بِهَا فِيمَا
سَلَكَوا مِنَ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَاقْتِفَائِهِمْ أَثَرَ الْأَنْبِيَاءِ الْمُفْضِي إِلَيْهَا؛
فَمِثْلَمَا سَلِمُوا مِنْ أَفَاتِ الانْحِرَافِ وَالْأَعْوِجَاجِ فَقَدْ أَفْضَوْا إِلَى الْجَنَّةِ
دَارِ السَّلَامِ⁽³⁾.

بَدِيعُ التَّعْبِيرِ بِلَفْظِ الْعِنْدِيَّةِ:

وَقَوْلُهُ: ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾: وَصَفَ الْحَقُّ ﷻ جَزَاءَ الَّذِينَ ﴿يَذْكُرُونَ﴾
بِالْعِنْدِيَّةِ، وَهِيَ مَنْزِلَةٌ رَفِيعَةٌ، وَالتَّعْبِيرُ بِهَا مُشْعِرٌ بِأَنَّ ذَلِكَ الْجَزَاءَ
الَّذِي ادْخَرَهُمْ مَوْصُوفٌ بِقُرْبِهِ مِنَ الْحَقِّ ﷻ، وَهُوَ قُرْبٌ لَا عَلَى جِهَةِ
الْمَكَانِ، إِنَّمَا عَلَى جِهَةِ الشَّرَفِ وَالْعُلُوِّ، وَفِي ذَلِكَ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ هَذَا
التَّكْرِيمَ وَالْقُرْبَ قَدْ بَلَغَ مِنَ الْكَمَالِ وَالرَّفْعَةِ وَالْمَنْزِلَةِ مَا لَا يَعْلَمُ كُنْهَهُ
إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى⁽⁴⁾.

كَلَّمَا أَزْدَادَ الْمُؤْمِنُ نَعِيمًا فِي الْجَنَّةِ أَزْدَادَ قُرْبًا مِنْهُ تَعَالَى، وَزَالَتْ
الْحُبُوبُ عَنْ قَلْبِهِ؛ وَلَئِنَّ الْجَنَّةَ تَمَحَّضَتْ لِلنَّعِيمِ وَهُوَ خِلَافُ حَالِ

الْعِنْدِيَّةُ مُشْعِرَةٌ
بِالْقُرْبِ تَكْرِيمًا
وَشَرَفًا وَرَفْعَةً

(1) الشَّعْرَاوِي، تَفْسِيرُ الشَّعْرَاوِي: 7/3937.

(2) الْخَازِن، لِبَابِ التَّأْوِيلِ: 2/156، وَالْفَخْرُ الرَّازِي، مِفْتَاحُ الْغَيْبِ: 13/198.

(3) ابْنُ كَثِيرٍ، تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ: 3/338.

(4) الْفَخْرُ الرَّازِي، مِفْتَاحُ الْغَيْبِ: 13/146.

الدُّنْيَا؛ فَإِنَّ اسْتِغَالَهَ بِزِينَتِهَا يُبْعِدُهُ عَنِ اللَّهِ، وَكُلَّمَا انْشَغَلَ فِيهَا لَمْ يَزِدْ مِنَ اللَّهِ إِلَّا بُعْدًا⁽¹⁾.

مَعْنَى الْعِنْدِيَّةِ مُرَادٌ بِهِ أَنَّ الْجَزَاءَ قَدْ أُعِدَّ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِثْلَمَا تَكُونُ الْحُقُوقُ مُعَدَّةً حَاضِرَةً؛ فَاَلْمَجَازُونَ بِنَعِيمِ اللَّهِ يَصِلُونَ إِلَيْهَا، فَهُمْ وَاقِعُونَ، وَكَأَنَّ دَارَ السَّلَامِ لَيْسَتْ وَعْدًا بَأَنْ يُنْشِئَهَا اللَّهُ لَهُمْ، بَلْ هِيَ جَاهِزَةٌ حَاضِرَةٌ تَنْتَظِرُهُمْ⁽²⁾، وَيجوزُ أَنْ تَكُونَ صِفَةً الْعِنْدِيَّةِ دَلَالَةً عَلَى حُصُولِ كَمَالِ صِفَةِ الْعُبُودِيَّةِ⁽³⁾.

والتَّعْبِيرُ بِالْعِنْدِيَّةِ مِنْ بَابِ الاسْتِعَارَةِ عَلَى مَعْنَى الْحِفْظِ؛ لِأَنَّ الشَّيْءَ النَّفِيسَ يَكُونُ مَحْفُوظًا عِنْدَ صَاحِبِهِ فِي مَكَانٍ قَرِيبٍ لِنَفْسَاتِهِ؛ فَيُرَادُ تَحْقِيقُ ذَلِكَ لَهُمْ، وَأَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ جَعَلَ هَذِهِ الرُّتَبَةَ بِمَنْزِلَةِ الشَّيْءِ الْمَوْعُودِ الْمُدْخَرِ لَهُمْ⁽⁴⁾.

بَيَانُ إِضَافَةِ ﴿عِنْدَ﴾ إِلَى لَفْظِ (الرَّبِّ):

أَضَافَ لَفْظَةَ ﴿عِنْدَ﴾ إِلَى كَلِمَةِ الرَّبِّ فِي قَوْلِهِ: ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، وَلَمْ يُضَفِّهِ إِلَى ضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ - كَأَنْ يَقُولَ: (عِنْدَنَا) - تَشْرِيفًا لَهُمْ وَتَكْرِيمًا، فَإِنَّ مَا فِي حَيْزِ الْعِنْدِيَّةِ هُوَ عَطَاءٌ مَوْلَاهُمْ مُنَاسِبَةٌ لِفَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ وَرِضَاهُ عَنْهُمْ⁽⁵⁾ خِلَافَ غَضَبِهِ عَلَى غَيْرِهِمْ مِمَّنْ تَقَدَّمَ أَنْفَاءً بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الأنعام: 124].

بَلَاغَةُ الْكِنَايَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾:

التَّعْبِيرُ بِقَوْلِهِ: ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ مِنْ بَابِ الْكِنَايَةِ⁽⁶⁾، وَهِيَ "إِمَّا

لِلْمُؤْمِنِينَ يَنَالُونَ
مِنْ تَشْرِيفِ
الْعَطَاءِ وَعَظِيمِ
الْجَزَاءِ

وَعَدُ اللَّهِ تَعَالَى
صَادِقٌ لَا يُخْلِفُهُ

(1) الصَّوَابِي، حَاشِيَةُ الصَّوَابِي عَلَى تَفْسِيرِ الْجَلَالِين، ص: 578.

(2) الشَّعْرَاوِي، تَفْسِيرُ الشَّعْرَاوِي: 7/3938.

(3) الْفَخْرُ الزَّازِي، مِفَاتِيحُ الْغَيْبِ: 13/146.

(4) ابْنُ عَاشُور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 64/18.

(5) ابْنُ عَاشُور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 64/18.

(6) الْكِنَايَةُ "لَفْظٌ أُرِيدَ بِهِ لَازِمٌ مَعْنَاهُ مَعَ جَوَازِ إِرَادَتِهِ مَعَهُ، أَيْ: إِرَادَةُ ذَلِكَ الْعَنَى مَعَ لَازِمِهِ، وَكُلْفِظَ طَوِيلُ النَّجَادِ، وَاللَّارِ بِهِ طَوِيلُ الْقَامَةِ مَعَ جَوَازِ أَنْ يَرَادَ حَقِيقَةُ طَوِيلِ النَّجَادِ أَيْضًا"، يُنْظَرُ: التَّفَازَانِي، مُخْتَصَرُ الْعَنَى: 1/257.

كِنَايَةً عَنِ الْوَعْدِ الصَّادِقِ، أَوْ عَنِ الدَّخِيرَةِ⁽¹⁾، فَأَمَّا كِنَايَةُ الْوَعْدِ الصَّادِقِ فَكَأَنَّ قَائِلًا يَقُولُ لَكَ: إِنَّ فَعَلْتَ كَذَا فَلَكَ عِنْدِي جَزَاؤُهُ، وَأَمَّا كِنَايَةُ الدَّخِيرَةِ فَهُوَ الشَّيْءُ الْمَحْفُوظُ الْمُدَّخَرُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَعِدْتُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: 133].

بِرَاعَةِ التَّخْصِيصِ وَالْحَصْرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُمْ﴾:

وجملة ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُمْ﴾ دَالَّةٌ عَلَى التَّخْصِيصِ وَالْحَصْرِ، فَلَا وَلِيَ لَهُمْ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ، وَالضَّمِيرُ رَاجِعٌ عَلَى مَنْ ذَكَرَهُمْ فِيمَا سَلَفَ مِمَّنْ شَرَحَ صُدُورَهُمْ لِلْإِسْلَامِ وَنَوَّرَهَا بِهِ، فَهَؤُلَاءِ الْأَقْوَامُ، لَمَّا عَلِمُوا أَنَّ الْمُدَبِّرَ وَالْمُقَدِّرَ وَالنَّافِعَ وَالضَّارَّ وَالْمُسْعِدَ وَالْمُشْقِيَ وَالْمُعِيدَ وَالْمُبْدِئَ لَيْسَ إِلَّا الصَّمَدُ سُبْحَانَهُ، فَلَمَّا عَلِمُوا ذَلِكَ انْقَطَعُوا عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ، وَلَمْ يَكُنْ رُجُوعُهُمْ إِلَّا لَهُ، وَلَمْ يَتَوَكَّلُوا إِلَّا عَلَيْهِ؛ فَاسْتَحَقُّوا إِلَّا يَكُونَ لَهُمْ وَلِيٌّ إِلَّا إِيَّاهُ⁽²⁾.

إِيْثَارُ لَفْظِ الْوِلَايَةِ:

آثَرَ اسْتِعْمَالِ لَفْظِ الْوِلَايَةِ ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُمْ﴾؛ لِذِلَالَتِهَا عَلَى الْقُرْبِ مِنْهُ سُبْحَانَهُ؛ وَالْقُرْبُ مِنْهُ دَرَجَةٌ لِلْعَبْدِ لَا تُدَانِيهَا فِي الْعُلُوِّ مَنْزِلَةٌ وَدَرَجَةٌ أُخْرَى⁽³⁾.

نُكْتَةُ الْإِخْبَارِ بِكَوْنِهِ تَعَالَى ﴿وَلِيُّهُمْ﴾:

نُكْتَةُ الْإِخْبَارِ بِجَمْلَةٍ ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُمْ﴾ أَنَّ الْحَقَّ ﷻ يَتَكَفَّلُ بِجَمِيعِ مَا كَانَ مِنْ مَصَالِحِ الْعِبَادِ فِي الدِّينِ وَالْدُنْيَا، وَيَدْخُلُ تَحْتَهَا: الْحِمَايَةُ، وَالْحِفْظُ، وَالْمُعَوْنَةُ، وَالنَّصْرُ، وَإِصَالُ الْخَيْرَاتِ وَدَفْعُ الْآفَاتِ وَالْمُضَرَّاتِ⁽⁴⁾.

لا يَكُونُ التَّوَكُّلُ إِلَّا عَلَى اللَّهِ انْقِطَاعًا عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ

الْوِلَايَةُ دَرَجَةٌ تَقْرِيبٌ وَزُبْدَةٌ تَشْرِيفٌ

الْوَلِيُّ هُوَ التَّكَفَّلُ بِجَمِيعِ مَصَالِحِ الْعِبَادِ دِينًا وَدُنْيَا

(1) الطَّبِيُّ، فتوح الغيب: 6/243.

(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 13/147.

(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 13/147.

(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 13/147.

سِرُّ تَعْرِيفِ الْمُسْنَدِ بِالْإِضَافَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلِيَّهُمْ﴾:

اللَّهُ تَعَالَى وَلِيُّ
الْقَوْمِ الذَّكَّرِينَ،
وَشُكْرُ النِّعْمَةِ
يَغِيظُ الْمَشْرِكِينَ

تَعْرِيفُ الْمُسْنَدِ ﴿وَلِيَّهُمْ﴾ بِالْإِضَافَةِ يُفِيدُ الْإِخْبَارَ بِأَنَّ الْحَقَّ ﷻ هُوَ وَلِيُّ الْقَوْمِ الْمُوصُوفِينَ بِالْمَذْكُورِينَ؛ فَهَذِهِ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ وَمِنَّةٌ كَرِيمَةٌ، عَلَيْهِمْ شُكْرُهَا، وَأَنَّ الْمَشْرِكِينَ مَتَى عَلِمُوا ذَلِكَ كَانَ سَبَبًا فِي غِيظِهِمْ⁽¹⁾.

دَلَالَةُ الْبَاءِ الدَّاخِلَةِ عَلَى (مَا):

الْبَاءُ الدَّاخِلَةُ عَلَى (مَا) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ دَالَّةٌ عَلَى السَّبَبِيَّةِ، أَي: بِسَبَبِ عَمَلِهِمُ الصَّالِحِ وَاتِّقَادِهِمْ لِلَّهِ تَعَالَى وَطَاعَتِهِمْ لَهُ، حَصَلَتْ وَلَايَتُهُ وَنُصْرَتُهُ تَعَالَى لَهُمْ⁽²⁾.

الْبَاءُ لِلْسَّبَبِيَّةِ
أَوْ لِلْمُصَاحَبَةِ
أَي: يَتَوَلَّاهُمْ
مُصَاحِبًا جَزَاءً
أَعْمَالِهِمْ

وَتَحْتَمِلُ الْبَاءُ الدَّاخِلَةُ عَلَى (مَا) أَنْ تَكُونَ بِمَعْنَى الْمُصَاحَبَةِ وَالْمَلَابَسَةِ، وَهُوَ مِنْ أَشْهَرِ مَعَانِيهَا⁽³⁾، عَلَى أَنْ يَكُونَ الْحَقُّ ﷻ مُتَوَلِّيًا أُمُورِهِمْ؛ فَيَصِيرُ الْمَعْنَى أَنَّهُ يَتَوَلَّاهُمْ مُصَاحِبًا جَزَاءً أَعْمَالِهِمْ، فَيُعَدُّ لَهُمُ الثَّوَابُ فِي الْآخِرَةِ وَيُوصِلُهُ إِلَيْهِمْ⁽⁴⁾.

تَوْجِيهٌ (مَا) بَيْنَ الْمُوصُولِيَّةِ، وَالْمَصْدَرِيَّةِ:

تَحْتَمِلُ (مَا) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ مَعْنَى الْمُوصُولِيَّةِ فَتَكُونُ بِمَعْنَى الَّذِي⁽⁵⁾، وَعَبَّرَ عَنِ الْمَعْنَى بـ (مَا)؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ عَلَى الْعَمَلِ، وَهُوَ أَمْرٌ عَامٌّ، وَ(الَّذِي) نَصٌّ فِي الْمُوصُولِيَّةِ.

لَا يَضِيغُ عَمَلٌ
لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا
يُخَيِّبُ رَجَاءَ لَهُمْ

وَتَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ مَصْدَرِيَّةً؛ فَتَكُونُ مَعَ الْفِعْلِ مَصْدَرًا مُؤَوَّلًا عَلَى تَقْدِيرِ أَنَّهُ مُتَوَلِّيهِمْ "بِأَعْمَالِهِمْ، أَوْ مُتَوَلِّيهِمْ بِجَزَاءِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، أَوْ هُوَ وَلِيُّنَا فِي الدُّنْيَا بِتَوْفِيقِ الْأَعْمَالِ، وَفِي الْعُقْبَى بِتَحْقِيقِ الْأَمَالِ"⁽⁶⁾.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 65/18.

(2) السمين، الدَّرِّ للصون: 5/147، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 64/18.

(3) ابن هشام، مغني اللبيب، ص: 140.

(4) الصافي، الجدول في إعراب القرآن: 4/279.

(5) ابن عادل، اللباب: 8/427.

(6) التَّسْفِي، مدارك التنزيل: 1/536، وصديق حسن خان، فتح البيان: 4/238.

دَلَالَةُ فِعْلِ الْكَوْنِ لِلْمَاضِي:

وفِعْلُ الْكَوْنِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يَدُلُّ عَلَى جِبِلَّتِهِمْ وَطِبَاعِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا⁽¹⁾؛ وَهُوَ دَالٌّ عَلَى الِاسْتِمْرَارِ فِي عَمَلِهِمُ الصَّالِحِ الَّذِي كَانَ مَدْعَاةً لِنَيْلِهِمْ دَارَ السَّلَامِ فِي الْآخِرَةِ.

نُكْتَةُ خِتَامِ الْآيَةِ بِلَفْظِ الْعَمَلِ وَبَصِيغَةِ الْمَضَارِعِ:

خَتَمَ الْحَقُّ ﷻ الْآيَةَ بِالْفِعْلِ ﴿يَعْمَلُونَ﴾، وَفِي ذَلِكَ نُكْتَةٌ؛ وَهِيَ الْإِشَارَةُ إِلَى أَنَّ عَلَى الْمَرْءِ أَلَّا يَنْقَطِعَ عَنِ الْعَمَلِ الْبَيْتَةِ، وَأَنْ يَسْتَمِرَّ فِيهِ، فَمِثْلَمَا تَنَاقَرُ الْهَيِّاتُ الْبَدَنِيَّةُ بِالْهَيِّاتِ النَّفْسِيَّةِ فَتُحْدِثُ حَرَكَةً وَاضْطِرَابًا، فَكَذَلِكَ تَنَاقَرُ الْهَيِّاتُ النَّفْسِيَّةُ بِأَعْمَالِ الْخَيْرِ وَالْبِرِّ الْبَدَنِيَّةِ، فَتُظْهِرُ عَلَيْهَا الْآثَارَ الْمُنَاسِبَةَ فِي جَوْهَرِ النَّفْسِ⁽²⁾، فَتَتَرَقَّى ذَاتُهُ وَتَسْمُو رُوحُهُ بِسَبَبِ تِلْكَ الْأَعْمَالِ، فَظَهَرَ أَنَّ السَّالِكَ فِي هَذَا الطَّرِيقِ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ الْعَمَلِ وَأَنْ لَا سَبِيلَ لَهُ فِي تَرْكِهِ.

وَالْفِعْلُ الْمَضَارِعُ دَالٌّ عَلَى التَّجَدُّدِ وَالِاسْتِمْرَارِ، وَالْمَعْنَى فِي الْآيَةِ أَنَّ الْمَخَاطِبِينَ الْمَمْدُوحِينَ قَدْ اسْتَحَقُّوا جَنَّتَهُ الَّتِي وَصَفَهَا بِدَارِ السَّلَامِ، وَاسْتَحَقُّوا وَلَايَتَهُ بِعَمَلِهِمُ الدَّائِمِ؛ إِذْ "يَتَجَدَّدُ عَمَلُهُمْ بِتَجَدُّدِ شُعُورِهِمْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ"⁽³⁾، فَالتَّعْبِيرُ دَالٌّ عَلَى تَجَدُّدِ الْعَمَلِ بِتَجَدُّدِ نِعْمَةِ تَعَالَى ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ.

تَنَاسُبُ فَاصِلَتِي الْآيَتَيْنِ: ﴿يَعْمَلُونَ﴾، وَ﴿يَذْكُرُونَ﴾:

وَهَذِهِ الْفَاصِلَةُ ﴿يَعْمَلُونَ﴾ مُنَاسِبَةٌ مَعَ الْفَاصِلَةِ الْقُرْآنِيَّةِ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ: ﴿يَذْكُرُونَ﴾ فَإِنَّ التَّذَكُّرَ سَبِيلٌ إِلَى الْعَمَلِ، وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِهِ أَشَدَّ التَّعَلُّقِ، وَمِنْ جَانِبٍ آخَرَ فَكَأَنَّهُ خَاطِبُهُمْ بِقَوْلِهِ: "إِيَّاكُمْ حِينَ تَوْفَّقُونَ فِي الْعَمَلِ أَنْ تَفْتِنْتُوا بِأَعْمَالِكُمْ، بَلْ عَلَيْكُمْ أَنْ تَتَذَكَّرُوا أَنَّ ذَلِكَ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ"⁽⁴⁾ وَهَذَا تَنَاسُبٌ ثَانٍ بَيْنَ هَاتَيْنِ الْفَاصِلَتَيْنِ.

دَيِّنَ الْمُؤْمِنِينَ
عَمَلُ الصَّالِحَاتِ
وَتَرْكُ الْمُؤَبَّاتِ

أَعْمَالُ الْبِرِّ
الدَّائِمَةُ سِرُّ نَجَاةِ
الْمُؤْمِنِينَ

التَّذَكُّرُ سَبِيلٌ إِلَى
الْعَمَلِ، وَالْعَمَلُ
مُرْتَبَهُنَّ بِتَذَكُّرِ
فَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى

(1) البقاعي، نظم الدرر: 7/226.

(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 13/147.

(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 5/2665.

(4) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 7/3939.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني عشر، سورة الأنعام من الآية 124 إلى سورة الأعراف الآية 13
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1445هـ - 2024م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأنعام من الآية 124 إلى سورة الأعراف الآية 13 [إشراف مجمع القرآن

الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 12، 804 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 4-64-798-9948-978

يشتمل على ارجاعات ببلوجرافية.

مج. 12: سورة الأنعام من الآية 124 إلى سورة الأعراف الآية 13.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-

ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث

التقييم الدولي: 4-64-798-9948-978

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-1637585 بتاريخ 2023/12/19م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»